العرفان

الجزء ٩ و ١٠ من المجلد الـ ٣١

زمضان وشوال سنة ١٣٦٤ — آب وأيلول ١٩٤٥

روائع الكلم

أحب الجهاد إلى الله تعالى كلمة حق تقال لإمام جائر — محمد بن عبد الله ﷺ

ما ذل ذو حق وإن أطبق العالم عليه، ولا عز ذو باطل ولو طلع من جبينه القمر

[المنتصر]

إن هذا الاستعمار لغة واصطلاحا، مصدراً واشتقاقاً — لا أراه إلا من قبيل اسماء الأضداد — وهو أقرب إلى «الخراب» و «التخريب» وإلى «الاسترقاق» و «الاستعباد» منه إلى «العمار» والعمران «والاستعمار»

[الأفغاني]

الوطنية الصادقة تعمل ولا تتعلل عن نفسها

[قاسم أمين]

لئن يتركك قومك خير من أن تتركهم، ولأن تبقى وهم ينزلون، خير للأمة من أن تنزل مع النازلين، ولأن يقال تخلى عن قومه خير من أن يقال ركنوا اليه فغدر بهم وأتمنوه فخانهم

[سعد زغلول]

إن من الناس من يؤذي الناس لا لطلب منفعة أو دفع مضرة بل لأنه مشرير بدفعه طبعه إلى ما لا يعرف وجهه

[المنفلوطي]

واجبات ابن الوطن للوطن كثيرة وراسيها بل أعظمها مكانة أن ينشى الرجل وراء منفعة وطنه فيهتم في مصلحته وينزلها فوق كل المصالح، فيقف حياته من أجل بلاده، ويذكي النار ويصلي الحرب ويحمل الاذى ويموت في سبيله حباً ببقاء الوطن

[بول دومر الفرنسي]

كتاب مذهب الشيعة

أو

الاسلام في ايران والعراق

« لمؤلفه المستشرق الكبير الدكتور دوايت م دونالدسن. »
Dwight M. Donaldson

٣

ثورة في الصحراء — لورنس Lawrence ص ٦١

أما مركز محمد ﷺ فقد كان ادق واشق من مركز فيصل، الأمر الذي ألجأه هو وجمع من مهاجري قبيلته إلى الهجرة للمدينة والإقامة بين تجارها الذين كانوا موضع ازدراء (١) ولقد مضى عليه ثمانية اعوام قبل فتح مكة وبعد عامين آخرين، حج إلى الكعبة بعدد من المسلمين عظيم، ولقد كان موكب حجته هذه موكب انتصار فخم تمثلت فيه القوة والعظمة. ولدى رجوعه من مكة أصابه مرض لم يمهله سوى عدة أيام لحق بعدها بربه. وكان في حكم الضرورة أن يتساءل الناس من سيخلفه؟ وكان من الممكن انتخاب بعض صحابته المقربين وهم كثر، وكان لهم من كفاءتهم واخلاقهم مركز يؤهلهم للقيادة العامة، ومع ذلك فهم لم يكونوا انبياء (٢)، لأن التعاليم الإسلامية توضح ان محمداً ﷺ كان خاتم الأنبياء، فليس بالإمكان إذن ان يخلفه نبي مثله، كما انه لم يكن له ولد(٣) يخلفه في زعامة القبائل الموحدة وحفظاً لوحدة القبائل العربية التي لا يمكن ان تبقى متماسكة كذلك بدون خليفة فاضل وقائد بارع يفسر لهم التعاليم الجديدة ويتولى بنفسه سلطة القضاء وسلطة السياسة.

---

١) الخصومة التي كانت بين أهل مكة والمدينة ايام الجاهلية.

٢) النبوة لا تقتبس بالادعاء. وانما هي وحي الله للبشر، وفي مذهب الشيعة لا يمكن تصديق دعوى النبوة أو الإمامة التي هي نيابة عنها في حراسة الأحكام والموازين، إلا بالآية والمعجزة أو بالنص من الرسول الصادق ولم يخطر لأحد من الصحابة مثل هذه الدعوى الفظيعة، ومحمد (ص) خاتم الأنبياء.

٣) وحتى لو كان له ولد فإن الخلافة لا تأتيه، إلا إذا كان هناك نص عليه من ابيه في مذهب الشيعة، وفي مذهب السنة لا يكون خليفة بغير انتخاب او غلبة، ولو كان له ولد فإن حداثة سنه ستمنعه من تبوأ المنصب وسيقال له انك لا تزال حدث السن كما قيل للإمام نفسه هذا القول.

وهذه المسألة الحيوية ، فمن يخلف النبي محمداً ﷺ ، حركت الضغائن (٤) القديمة واحيتها بين القبائل ، وظهر أن الاتحاد العربي كان موقتاً في جوهره ، وقد دعت اليه الضرورات الحربية فقط . وبظهور مشكلة الخلافة ، يبدأ أطول واهم انقسام (٥) في الإسلام :

من كان يجب أن يكون خليفة لمحمد ﷺ (٦) ؟

هل نص النبي ﷺ (٧) على علي صهره وابي سبطيه ؟

أم ان النبي ﷺ ترك (٨) أمر الخلافة رغبة منه في ان تنتخب خليفته هيئة شعبية في مؤتمر يعقدونه علناً ؟ أم أنه اشار (٩) كذلك إذ طلب من عمه ابي بكر ان يصلي في مسجده إماماً وبذلك حكى رغبته في ان يكون عمه خليفته ؟

---

٤) كانت الخصومة في الجاهلية بين قريش والأنصار ، وكان بين بني هاشم وامية مثل ذلك تنازع على الزعامة ، وكان اكثر السر في حرب قريش لرسول الله كون محمد (ص) من هاشم ، وحين فقد النبي (ص) اشرأبت للزعامة الأعناق من الأنصار والمهاجرين وكان اكثر الناس اضطراباً يوم السقيفة (ابو سفيان) « قال لما بايع بشير بن سعد أبا بكر وازدحم الناس على ابي بكر فبايعوه ، مر ابو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه علي بن ابي طالب (ع) فوقف وانشد :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ... ولا سيما تيم بن مرة او عدي
فما الأمر إلا فيكم واليكم ... وليس لها سوى ابي حسن علي
ابا حسن فاشدد بها كف حازم ... فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
وأي امرء يرمي قصياً ورائجا ... منيع الحمى والناس من غالب قصي

فقال علي لأبي سفيان إنك تريد امرا لسنا من اصحابه وقد عهد إلي رسول الله عهداً فأنا عليه فتركه ابو سفيان وعدل إلى العباس بن عبد المطلب في منزله فقال يا ابا الفضل انت لها اهل واحق بميراث ابن اخيك امدد يدك لأبايعك فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتي إياك فضحك العباس وقال يا ابا سفيان يدفعها علي ويطلبها العباس فرجع ابو سفيان خائباً » ابن ابي الحديد ج ٢ ص٧ – ولكنه ما عتم ان اسكت بالمواعيد وبقي النزاع نظرياً بين علي (ع) وابي بكر (رض) . محسن شراره

٥) قلنا ان النزاع كان نظريا ولم يصبح عمليا إلا بعد مقتل عثمان . حين رجع الخلاف مبدئيا بين هاشم وامية كما كان يوم بدر والأحزاب وسيأتي اعتراف المؤلف بوحدة المبادئ العامة بين السنة والشيعة .

٦) في مذهب الشيعة انه يجب له العصمة كالنبي (ص) وصفات الكمال كلها ويجب ان يختاره الله للبشر .

٧) هذا رأي الشيعة قالوا « إن النبي (ص) نص عليه واشار اليه باسمه ونسبه وعينه وقلد الأمة إمامته ونصبه لهم علما وعقد له عليهم امرة المؤمنين وجعله اولى بالناس منهم بأنفسهم في مواطن كثيرة مثل غدير خم وغيره واعلمهم ان منزلته منه منزلة هارون من موسى (ص) إلا انه لا نبي بعده » الفرق ص ١٦

٨) وفرقة مالت إلى ابي بكر بن ابي قحافة (رض) وتأولت فيه ان النبي (ص) لم ينص على خليفة بعينه وانه جعل الأمر إلى الأمة تختار لأنفسها من رضيته » الفرق ص ٣

٩) « واعتل قوم منهم برواية ذكروها ان رسول الله (ص) امره في ليلته التي توفي فيها بالصلاة بأصحابه فجعلوا ذلك الدليل على استحقاقه إياه وقالوا رضيه النبي (ص) لأمر ديننا ورضيناه لأمر دنيانا واوجبوا له الخلافة بذلك » الفرق ص ٣

هذه هي المسائل التي شطرت الإسلام إلى قسمين ، وانتهت به حتما للحرب (١٠) الأهلية ، وجهزت التفسير والتاريخ بنظرية الإمامة .

إن الفرقة التي تتمسك بأن محمداً ﷺ نصّ على علي صهره أنه الإمام والقائد لأمته ، هي التي تعنونت واتسمت بشيعة علي (ع) أي اتباع واصحاب فكرة علي ، الذين بشروا بـه في مؤلفاتهم وآدابهم المنتشرة ، واعلنوا عقيدتهم في الامامة ، وانها امر إلهي لا يصار اليه إلا بمشيئة الله ونص النبي وتبليغه ، وان الحقوق التي كان يضطلع بهـا الخليفة ، هي في نظر الشيعة من حق الإمام ، الذي استبدل بغيره ، بسبب عدم وفاء بعض أجلة الصحابة له ، ومن المعلوم أن عليا وَلِيَ الخلافة ، بعد ثلاثة سبقوه ، ولكنه لم يطل به الوقت حتى قتل ، ومنذ ذاك الحين إلى الآن لم يتولَ الخلافة إمام صحيح . وتستعمل كلمتا الخلافة والامامة بمعنى مترادف عند بعض المؤلفين العرب ، الذين اعتقدوا صحة خلافة الخلفاء وحطوا من شأن الإمامة وللتخلص من الغموض سنطلق كلمة « الإمام » على سلسلة الزعماء ، الذين يعتبر الشيعة منصبهم إلهيا .

وينتهي عدد الأئمة إلى اثني عشر إماماً ، في آراء الشيعة المستقيمة الرأي ولكنهم لم يكونوا متعاصرين ، كما هي الحال في تلامذة المسيح ، وإنما كل إمام يتلو آخراً ، وهذا ما فعله محمد ﷺ حيث نصّ على الإمام الأول ونصّ الأول على الثاني وهكذا . أما تاريخ الإمامة أو المدة التي ظهر بها الأئمة الإثنا عشر فتقدر بـ ٨٢٨ سنة بعد وفاة النبي ﷺ

هذا هو محور التعاليم الشيعية ، والحقيقة أن الأئمة أهملوا استرداد حقهم (١١) في السيادة

---

١٠) الحرب الأهلية لم تثر إلا في العصر الذي حاول فيه بنو امية امتلاك السلطة العامة وذلك بعد مقتل عثمان وقد تم لهم ذلك واكثر من ذلك حيث حولوها من خلافة روحية زمنية إلى سلطنة استبدادية مادية وقد اسس الحزب الأموي لذلك وبيت له في عهد عثمان وقبل عثمان مع كيف الظروف والأحوال .

محسن شراره

١١) إن افعال الأئمة عليهم السلام كانت منوطة بمصلحة الإسلام العامة وليس لها تعلق بالغايات الشخصية فقد كان سكوت الإمام الأول (ع) عن طلب حقه في عهد الخلفاء مراعىً به مصلحة الدين والأمة وقد كان حيث يجد سبيلًا للمنطق والبرهان يذكر إخوانه ما له من حق القرابة وما اختصه النبي (ص) به من مزايا الكمال التي عري منها غيره ، وهذه المصلحة ذاتها هي التي اوقفته يوم الدار مدافعاً عن عثمان في وقت وناصحا له في وقت وواقفاً متحيراً بينه وبين الناقمين في وقت . وهي عينها الغاية التي بعثته على الجهاد والجلاد ايام البصرة وصفين – وهي المصلحة القدسية السامية التي بعثت الإمام الحسن (ع) على صلح معاوية إذ فقد الانصار وكثرت عليه في جيشه الاوزار ، اما الإمام الحسين الشهيد (ع) فقد كان في ثورته على الاوضاع الأموية من الأسرار والغرائب ما حير العقول وسحر الالباب وما ملأ التاريخ عبرة ، والدهر عبرة ، وبقي الائمة الآخرون في صمت مكبوت وفي صدورهم الشجون وفي علمهم الاسرار الكثيرة والشؤون عن قوة الدولة الاموية والعباسية وفلسفة المجتمع الإسلامي ، وانصراف الناس إلى المادة وانقلابهم في المعقول=

السياسية ، ولكن فشل الأئمة في ميدان السياسة ، التي ملك أمرها الخلفاء ، لم يوهن عقيدة الشيعة في أن ذلك حقهم الميراثي كما لم يضعف الاعتقاد بما هم عليه من العصمة العقلية والأخلاقية ، وهكذا نرى أن أولئك الأئمة ، لكي (١٢) يبرهنوا على صحة أي تعليم من تعاليمهم استطاعوا أن يملكوا سلطة النبي ﷺ إذ يضطر المجتهدون الشيعيون في إثبات الحديث أن يرجعوه إلى احد الأئمة ، وهكذا كانوا يتابعون استعمال السلطات التي كانت للنبي محمد ﷺ ويقودوا بها المؤمنين في تفسير القرآن والحديث .

ومن الخطأ مقارنة الفرقتين الأساسيتين بالإسلام بفرقتي الكاثوليك والبروتستانت ، فإن السنة والشيعة يتفقان في المبادئ العامة ، وكلاهما يعتقد بوجوب وجود الخليفة بعد النبي ﷺ

ويمكننا أن نلاحظ ان نظرية الإمامة عند الشيعة في أئمتهم ، لو أنها طبقت تماماً في السلطة الروحية والدنيوية ، لكانت الإمامة متفوقة على البابوية في عصرها الذهبي ، وهذا ما انتبه إليه

والمنقول إلا قليلاً منهم لا يغني في الأمر قليلا ولا كثيرا ولا يصلح ان يكون ناصرا ومعينا ، ولذلك كان محتوما عليهم الانصراف لناحية العلم والبيان والحكمة والبرهان ، وقد ملأ من انطاق به المجال اقطار الإسلام بالعلوم والفنون وكان حديثه مادة المؤلفين وينبوع المتأدبين ، وبقي هناك المحتجب الراهب يرسل بعض ذلك النور بين الشجون والسجون . اما اضطرار المجتهدين الرجوع إليهم في التفسير والحديث فلأنهم كانوا وحدهم الطريق الواضح الموثوق إلى النبي (ص) في عصر كثر فيه الكذب عليه وافسدت السياسة رواة الحديث فكان شأنهم شأن الشعراء في التزلف للحكام فكثر وضع الحديث واختلف لون التأويل ، على ان كثيرا من الاحاديث يأخذها علماء الشيعة من طريق كثير من الثقاة والصحابة غير الائمة ، على الميزان الذي عندهم وذلك كله تثبت منهم في الوصول إلى الصحيح المنقول ، وما كان حديثهم تشريعاً واغا كان حديثاً مسندا إليه صلوات الله عليه أو منقطعا يعرف العلماء منهم صلته به . محسن شراره

١٢) لم يعتقد الشيعة شيئا من صفات ائمتهم بغير دليل محكم من الكتاب المنزل والحديث المفصل ولذلك فإن الشيعة يعتقدون ان طاعة ائمتهم فرض من الله واجب كبقية الفروض والواجبات من حيث اعتقادهم بهم انهم اولو الامر فبهم ودليلهم من الكتاب قوله تعالى « اطيعوا الله والرسول واولي الأمر منكم » فقد فسروا ولي الامر بالحاكم المفروض ولايته من الله ورسوله وسياق الآية ظاهر في ان الطاعة المفروضة في امر الله ورسوله هي الطاعة المفروضة في امر ولي الامر ، وبهذه الآية يستدل السنة في وجوب طاعة الخلفاء وولاتهم في الامصار ولكن العلماء في حيرة من امر تطبيقها على الذي استعملها من ولاة الامر في امر معصية الله ، وفي ضيق شديد في نسخ ولي الامر فعلا او حكما حكم به النبي ، وهذا ما لم يرتكبه ائمة الشيعة ولا اعتقده الشيعة بهم فإن سلطتهم محدودة ضمن نطاق اوامر الله ونواهيه التي قال بها من قبل جدهم (ص) ومع ذلك فإن بعض علماء الجمهور التزم باللازم الباطل وطبق الآية على مثل يزيد وحكم « ان الإمام الحسين بن علي (ع) قتل بسيف جده » وعلى هذا النسق كان له ان يقرر جواز شرب الخمور وارتكاب الفجور ونكاح زوجات الآباء وقتل النفوس المحرمة واحداث ما لم يكن لأنه فعله يزيد وهو ولي الامر بحكم الكتاب وطاعته مفروضة من الرسول وبهذا الاسلوب يرجع المسلمون إلى الوثنية التي حارب النبي آباء يزيد من اجلها . محسن شراره

مستشرق محقق هو نفسه كاثوليكي — « العقائد والمعاهد الإسلامية » لامنس P. Lammens ص ١٤٧ حيث يقول :

« إن شأن الإمام عند الشيعة ، غير شأن الخليفة عند السنة ، فإن الخليفة يعتبر حارس الشريعة وقائد الإسلام المدني ، أما إمام الشيعة فهو القائد المعصوم عن الخطأ والزلل في القول والعمل ، وليس هو خليفة محمد ﷺ فقط ، وإنما هو كذلك وارث مجده وعظمته ، كما انه الممثل الأعلى لكلمة الشهادة ، ولدى التحقيق ، هو رجل ديني وقائد روحي ، بل وترجمان الوحي فهو من هذه الجهة أقوى وأسمى من البابا في كنيسة الكاثوليك ، ويمتاز الإمام عليه فضلا عن العصمة ، بأنه منح موهبة الإلهام والتكهن بالمغيبات ، وهكذا هو الطريق الأبدي الوحيد ، والإلهام المشع لكل السلطات المقدسة » .

ولزيادة الإيضاح في صفات الأئمة ، يقول الثقاة : ان مبدأ العصمة وتعاليمها في معتقد علماء الشيعة ، ليس فكرة جديدة ، وان القول بها في العصور السالفة قديم جداً ، كعقيدة عصمة الأنبياء ، التي اجمعت أفكار العلماء وآراؤهم عليها ، والتي يرتأيها أيضاً علماء السنة المستقيم والرأي وسنعرض امثلة واضحة ، من فرائض الصلوات وتقاليد الزيارة التي ما زال يتعبد بها المؤمنون في العصر الحاضر ، لنعرف الوجهة العلمية من عقائد الشيعة في الأئمة الوسطاء .

وقد اقتبسنا جملة من الصلوات و كثيراً من اوصاف الزيارة من اللغة العربية رأساً ومن الكتب الفارسية التي جهزت خصوصاً لإرشاد الزوار .

وسنذكر أيضاً اعتقاد الشيعة بحياة الإمام الثاني عشر ، وانه لم يمت (١٣) ، بل اختفى بأعجوبة منذ الف سنة ، وانه الإمام المنتظر ، الذي سيقود العالم عند رجوعه ، ويرجع المملكة الإسلامية اللاهوتية إلى مجدها الصحيح في جميع العالم ، وقد أثر هذا الاعتقاد تأثيراً عظيما في تاريخ الفرس وصار ينظر إلى انتظار ظهور الغائب كخطر من الوجهة السياسية ، ففي بعض الأزمنة التاريخية ، كان الذين يعتقدون بمذهب الشيعة يضطهدون بقساوة وفظاعة .

واشتد الأمل برجوع الإمام الثاني عشر واستمر اكثر من ذي قبل عندما غزا المغول والتتار والأتراك بلدان الشيعة وملكوها ، وتواتر اضطهاد الشيعة وتعذيبهم وتخريب مشاهد أئمتهم المقدسة

---

١٣) ليس بقاء الإنسان حياً مدة طويلة محالاً في العقل والإمكان . فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وهو جائز في قدرة الله تعالى وسنفصل ذلك في محله من الكتاب . كما انه لا بأس عند الشيعة من ظهور الإمام وان طال الزمن وليس ذلك محددا بوقت ، والفرق الهرطقية في كل طائفة وملة ، وهي محنة في الدين وعبرة لا يخلو من مثلها زمان ومكان « سنة الله في خلقه » « ولو شاء الله لهدى الناس جميعا »

مخسن شرارة

أما الذين رفضوا ان يلتجئوا لمبدأ التقية ، فقد ذبحوا بفظاعة . وهكذا تعاظم الاعتقاد بغيبة الإمام المحتجب . حتى اصبح مذهب الشيعة في زمن « الصفوية » دينا رسميا لمملكة الفرس . غير أن هذا الانتظار الدائم لظهور الإمام ثانيا فسح المجال للفرق الهرطقية ، فإنه فضلا عما هنالك من فرق مختلفة في الشيعة ، فإن قسما منهم اخذوا يتخرصون ويقولون : هل إذا ظهر الإمام ومات سيخلفه غيره ؟ أو لا ؟ وهكذا ارتابوا ونشأ من ريبتهم عدة فرق كالشيخية والبابية والبهائية . ويعزى هذا الانشقاق إلى الفشل الذي اظهرته القرون المتعاقبة بغيبة الإمام واليأس من رجوعه .

بنت جبيل — محمد شرارة

عجز الطب عن دواء نفوس

خلني والهموم تترى على القلب بما يحكم القضا والزمان
ليس في الكون ما يروقك لونا سمجت في حياتنا الألوان
أخذ الناس عن زمانهم المكر فكل بمكره شيطان
ولبئس الرياء في الناس قولا وفعالا يسيغه الإنسان
خدع الناس في زخارف ابليس ولما يهب بهم إيمان
عشقوا نضرة الحياة حريصين عليها وفي الهوى خسران
وتفانوا على خسيس من العيش ضئيل كأنهم ذئبان
ليت شعري أللزمان بقاء أم تدوم القصور والتيجان
ملك كسرى عدت عليه الليالي سقط التاج وامحى الإيوان
لا يغرنك من زمانك لين المس منه فإنه ثعبان
كم تراق الدماء في ساحة الحرب وكم تعمل القنا المرآن
عجز الطب عن دواء نفوس وتداوي من دائها الأبدان
عالم لا يفيق من سكرة الجهل وخلق في رشده حيران
كل أدوائه عضال ولكن شر أدواء نفسه الطغيان
كم قرأنا من الحياة دروسا يتساوى سماعها والعيان
وبلونا الزمان في حالتيه فإذا في سروره أحزان
يحكمون البناء ظن بقاء وقريبا ما يهدم البنيان
لا تدوم الكواكب الشهب في الأفق ولا في مسيرها الأكوان
عظة الدهر أذنت بوداع فتيقظ يا ايها الإنسان
ان تنم سادرا عن الموت لاه بأمانيك فالردى يقظان

حداثا

محمد علي ناصر